

## رحيل التشكيلي اللبناني عارف الرئيس مكللاً بالتفاؤل والجوائز



عارف الرئيس في مرسمه

بيروت: سوسن الأبطح

خسر لبنان منتصف ليل اول من امس، احد ألمع رواد التشكيليين، حيث رحل عارف الرئيس في غفلة من اصدقائه وزملائه، ليشكل خبر غيابه صدمة للذين عرفوه، وعاشوا حيويته وحبه للحياة. فعن عمر يناهز 77 عاماً، قضاهما بالترحال في الجغرافيا وبين الاساليب التشكيلية، ومتمقلاً بين الرسم والنحت، غاب الرجل تاركاً وراءه تراثاً غنياً يحتاج من يحفظه ويرعاه. وهو امر يبدو شاقاً وعصياً في لبنان الذي ما يزال بدون متحف للفن التشكيلي الحديث. اذ ان وجود هكذا متحف كان مطلباً عزيزاً على قلب عارف الرئيس.

فحين سئل عن لوحاته، لماذا هي مغلقة على الجمهور. اجاب: «الانغلاق في فهم اللوحة يعود في الاساس الى انعدام وجود الثقافة النظرية، والى انعدام وجود المتاحف التي تتيح للناس وجود المعرفة».

«متفائل رغم كل شيء» كان يردد، صاحب النكتة والقفشة، والروح التواقة ابدًا للتغيير والمغامرة. تلقى دروسه في الجامعة الوطنية في بلدته عاليه، وفي مدرسة عينطورة، وبدأ يرسم بمساعدة والدته ليقدم اول معارضه في الجامعة الاميركية ببيروت عام 1948. ومن حينها لفتت اعماله الانظار، لكن عارف الرئيس الذي كانت تدفعه ظروف الحياة حيث تشاء، سافر مطلع حياته الى السنغال ليساعد والده في تجارته. ومن ثم، وبعد ان سنحت الفرصة انتقل الى باريس لدراسة الفن في «اكاديمية الفنون الجميلة» لكنه لم يصمد هناك، وانتقل بعد شهر واحد الى محترف الفنان فرنان ليحيه ثم الى محترفات حرة اخرى، كان يبحث فيها عن غايات لربما كان هو نفسه لا يعرفها. فمن محترف اندريه لوت الى النحات هنري غنز ومن ثم الى محترف النحات زاديكين، لينتهي رحلته الحرة هذه باكاديمية الغراند شومبير للرسم. لقد كانت المرحلة الفرنسية حاسمة في مسار عارف الرئيس الذي عرف كيف يجعل من كل مرحلة مدرسة واسلوباً ووحياً ولوحات ومنحوتات لا تشبه في ملامحها المرحلة التي تليها. فالسنوات السبع التي قضاهما في باريس تعرفت خلالها على اسانذة وتيارات ومذاهب في الفن، لم يكن ليكتشفها في رحلته الثانية الى افريقيا التي جسدها في لوحاته عالماً مختلفاً.

حين عاد عارف الرئيس الى لبنان استطاع ان يحصل على منحة ليكمل مشواره في ايطاليا. وهناك قضى خمسة اعوام متنقلاً بين فلورنسا وروما مشاركاً في المعارض الجماعية ورائراً الغاليريات والمتاحف. وفي تلك الفترة شارك في مسابقة مثل خلالها لبنان في معرض نيويورك الدولي بمنحوتة «الفينيقي»، وحاز جائزة، وحفظت منحوتته في نيويورك.

وكانما ليتم جولته في القارات ذهب عارف الرئيس بعد ذلك الى اميركا الشمالية والمكسيك ليقضي خمسة اعوام مقيماً المعارض، ناهلاً المعارف قبل ان يعود الى لبنان، والى محترفه في عاليه.

لكن الدعوة التي اتت من المملكة العربية السعودية جاءت ربما في وقتها، وحين كان يتكلم عارف الرئيس عن مرحلته السعودية، تشعر وكأنه يحتفي بها مزهواً بإنجازاته هناك، وله في ذلك كل الحق. فما زالت منحواته تزين ساحات مدينة جدة وشواطئها، وله في مدينة تبوك انصاب جمالية، اضافة الى اعمال من الرخام نفذها لجامعة الملك عبد العزيز في الرياض. كان الرئيس يتحدث عن انتقاله بين السعودية وايطاليا لانجاز تلك الاعمال وكأنه ما يزال يعيشها حية في ذهنه.

واذا كان عارف الرئيس قد برع، فلربما لانه لم يكتف من المعرفة باكتناه سر اللون، واستنطاق الحجر، فقد كان عاشقاً للكلمة. وقال له ميخائيل نعيمة ذات يوم: «اكتب لأنك ترسم في الكتابة ايضاً... لا تهمل الكلمة». ويقول الرئيس: «لقد ظلت شغوفاً بالمطالعة الى جانب الرسم... فالكلمة تحمل سحر المعرفة».

غاب طويلاً عارف الرئيس عن لبنان بقدر ما انغمس في الآله، وقضى رداً من عمره خارج العالم العربي بقدر ما كان عربياً ومحباً لانتمائه. ومما يسجل لهذا المغامر انه كان يعتبر الفن سلاحاً في معركة تدور رحاها بقسوة على ارضه. واعماله كانت ردوداً على ما يعيشه الناس حوله. فقد قال بعد حرب 1967: «كنت قبل النكسة اغازل السماء والقمر والغضاء، وحين وقعت النكسة فقدت لفترة طويلة الشعور بكل شيء. فخلال الايام الاولى لحرب يونيو

(حزيران) حاولت التطوع للعمل العسكري». وتفهم اكثر مواقف الرئيس ومشاعره حين يقول: «عمل الفنان ان يحضّر لمعركة الوحدة ولمعركة التحرير».

توفي عارف الرئيس بعد ان جرّب كل ما خطر له، وفي معارضه الاستعادية، كانت تجاربيته تثير احياناً الاستغراب. ولعل اكثر ما جعل الاسئلة تثار حول مساره تلك اللوحات الكبيرة التي خص بها الليدي ديانا عند وفاتها، اذ جمع ما نشر لها من صور، وبواسطة الكولاج اعاد بناء عالمها على طريقته. اما جوابه على هذه المغامرة الولادية في نظر البعض، فكان: «حياة كل انسان كولاج... وديانا هي رمز لصديقاتي».

يسجل لعارف الرئيس نفوره من الطائفية، ورغبته في رؤية العالم افضل وأجمل معترفاً بفضل غنى الطبيعة اللبنانية عليه وتنوع الثقافات الموجودة فيه، واطالته على حوض المتوسط وحضاراته. ذهب عارف الرئيس تاركاً لوحات ومنحوتات في متاحف كل من سورية والعراق والجزائر والكويت والاردن، وفي متحف اولد هندود في نيويورك ومتحف روزفلت في فيلادلفيا. وفي قصر اليونسكو في باريس، مكللاً بجوائز عالمية، ومحبة لبنانية كبيرة.

Like 0 Tweet Pin it Share 1

طباعة

بريد